إنت عمري
بقلم
مروة ممدوح

سطور من حياة

مروة ممدوح مصطفى

* مروة ممدوح مصطفى من مواليد مخافظة سوهاج، تخرجت في كلية التربية قسم لغة عربية، أميل إلى كتابة القصص القصيرة عضو "بورشة السعادة" صدرت لي معها روايتي الأولى "شفير الهاوية".

* أحب القراءة لنجيب محفوظ، يوسف السباعي، حسن الجندي ، مثلي الأعلى نجيب محفوظ، أحمد خالد توفيق.

* أحلامي للمستقبل إني أتطور أكتر في مجال الكتابة ويكون لقلمي صدى مدوي في قلوب القرَّاء ويعمل على إحداث تغيير جذري في نفوسهم أو إرثاء فضيلة أو حكمة ما.

* **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

إنت عمري

استراحت هامته من على كتفيه فوقرت إلى السكون، ويداه المتدليتان من جانبي المقعد أفصحتا عن النوم فى سبات عميق، فقط وحده المذياع زاول نشاطه فى مكان كل شيء فيه سكن، مرددًا أغنية (إنت عمري)

دنا طيفها منه تتأمل ملامح وجهه التي قبعت بداخلها التجاعيد فتركت خيوطًا طولية على جانبي وجنتيه وبين حاجبيه، أكملت تفقدها لبقية جسده المهترئ وقد باغتته الشيخوخة فجعلته جلدًا على عظم، فقط كرشه الذي نجا من سطوتها، راح يتحرك صعودًا وهبوطًا، وهو يغط في سبات عميق، دنت منه تضع يدها على جبهته، بحنان تُقبِّل وجنته، أحسَّ بها بدأ يتململ في نومه وقد أشعل توهج حضورها حرارة التهمت صقيع تلك الليلة، أحسَّ جسده بحضورها فهبَّ ناشدًا دفء أُنسها والتطيب بعبق أنفاسها

-في ميعادكِ بالثانية "قالها مُتهللًا"

-ككل ليلة "قالتها وقد أراحت يدها على صحيفة وجهه" وأردفت:

-كيف كان يومك؟

-جميل جدًا بيد أني أفتقدتك فيه.

-كما قلت لك مرارًا ليس لي حضور فيه وندت منها ابتسامة تواسيه:

-ما العمل إذن؟ "قالها دون حيلة منه"

ازداد توهجها وهي تقول له:

-آتيني أنت وسُر خاطري.

- هاااا أنا قادم.

صاح بها ليستفيق، يرى نفسه كاد أن يسقط من على المقعد وقد اختلطت رأسه بالأفكار وكل شيء مشكوك فيه من حوله، عدا صوت الست ظلَّ صامدًا يؤكد الحقيقة الوحيدة الموجودة في هذا المكان، ضاق ذرعًا، وهو يجاهد ليفتح عينيه المثقلتين، رثى لحاله بعدما تبصر الحقيقة، هو مجرد حلم بل حلم كل ليلة.

غمغم بكلمات معلولة جازمًا تلك الليلة اللحاق بها، بلغ من العمر أرذله وقلبه مازال مفطورًا على فقد رفيقة دربه وزوجته، ولم يبق أحدًا من ذويه ولا أولاده لمواساته، الكل اجتمع على التفرق من دونه.

تركوه محمومًا في صهد الوحدة

دار يحرك رأسه يتفقد أركان بيته وقد كستها وحشة الوحدة، يتذكر كم كان يملؤه الصخب ويكثر فيه الضجيج، شاهد على ذكريات جمَّة متباينة، تموج بين المرح والفكاهة وبين الحزن والفجيعة، طال النظر لأريكة عريضة قابعة في منتصف الصالة يستحضر ذكرياته معها، يرى نفس جالسًا عليها يحتضن صغيريه سما وعمر يشاهدا فيلما كوميديًا، تتعالى ضحكاته ممزوجة بقهقهة بكر من ثغر صغيريه، تأتي الأم تحمل صينية كبيرة بها أربعة أكواب من الشاي بالحليب بالإضافة إلى أكوام من سندوتشات المربى والبيض والجبن، يتهلل الصغيرين بقدومها ليهبا بمرح يتلقفا منها الطعام مُحدثين جلبة عارمة، تفقد معها أمهما اتزانها وتترنح إلى الخلف، تكاد أن تسقط على الأرض فيسرع باحتضانها من الخلف، ضاغطًا بكلتا يديه على يديها الممسكة بصينية الطعام، ليكون لها درعًا وحصنًا من السقوط، فترتطم بصدره وبداخله يُطمئن صرختها التي دوت بين جنباتها فأشعلت الرعشة بجسدها المهتز بين يديه يهمس بأذنها:

-أمسكت بكِ.

لتنم عنها ابتسامة خفيفة وهي تدير رأسها ناظرة لعينيه

-كعادتكِ دومًا.

لينفجرا في ضحكات عالية تهز جسديهما لتهتز يديهما المطبقة على صينية الطعام فيتذكرا شأنها، فتسرع في التملص من إحكام قبضة جسده على جسدها، تنحني لتضعها بأمان على المنضدة، وقبل أن تنصب قامتها يحكم قبضته على يدها قائلًا:

-لن تراوغيني ثانية وتهربي مني هذه المرة.

ليجد الصغيرين وقد تسلَّلا ووقفا أمامها مباشرةً يصيحان بوجههما:

-ماذا تفعلان؟

ليشتاط غضبًا، ينم عنه قهقهة عالية من الصغيرين:

-حسنًا سأريكما ماذا سأفعل بكما الآن..

ويهم باللحاق بهما فيفرا هاربين من أمامه يختبئان، وما إن ترى هذا المشهد تنتابها ضحكة قوية على مشاكسته مع الصغيرين تزيد من حدته وغضبه ويقف يهتف غاضبًا:

حسنًا سأُرى ثلاثتكما، سألقنكم درسًا لن تنسوه أبدًا..

لتسرع باللحاق بصغيريها، تركض هاربة من أمامه، يتبع أثرها وقد انتفخت أوداجه حمرة من الغضب..

تنم عنه ضحكة مريرة، ناجمة عن فجيعة ذكراه تبدأ عينه بالبوح عن خيبتها تسرد ألمها بعبرات ثقيلة، فاضت بها لتسيل على أخاديد من التجاعيد تقاسمت معه وجنتيه، تنهَّد بعمق ألمه القابع بجوفه وراح يسرح ثانية تتخبطه الذكريات مرة أخرى على هذه الأريكة، تترائى المشاهد مشهد بعد الآخر كشريط سينما، يتذكر عندما كان يجلس عليها ودقَّ جرس باب الشقة لتسرع الأم بفتح الباب، تلج منه ابنته سما مندفعة متوجهة نحوه صارخة:

-لقد نجحت يا أبي وأخيرًا سألتحق بكلية الإعلام حلم حياتي، وسأصبح مذيعة مشهورة.

يحتضنها الأب مهللاً:

مبارك يا ابنتي، أنتِ تعبتي واجتهدتِ كثيرًا تستحقين ذلك..

يسرح ثانيةً يرى ابنته وقد غدت عروسًا بجوار عريسها، الذي يضع بإصبعها خاتم الخطبة، لتنطلق الزغاريد والمباركات من الأهل والأحباب، وسرعان ما توالت الذكريات وهو يجلس على تلك الأريكة حامل بين يديه أول حفيد له من ابنه عمر في أول زيارة له ببيت جده وكمْ الفرحة والحفاوة التي قوبل بها منه ومن زوجته

التي ربتت على كتفه بخبث تقول له:

-لقد كبرت وأصبحت عجوزًا الآن.

ليرد لها كلماتها الماكرة:

-أو تظني نفسكِ مازلتِ بنت العشرين يا امرأة؟، لقد هرمنا سويًا، بل أنتِ زدتِ وكثيرًا.

لتحدجه بنظرات يتطاير منها الشرر:

-صدق أنت عجوز أحمق.

ينفرج ثغره ضاحكًا، يظهر لثته القفرة وقد فرَّت منه أسنانه يمازحها:

- والله إنكِ بعيني مازلتِ بنت العشرين التي لطالما حلمت أن تُزف لي وتكون زوجتي وأم أولادي

يتملَّك الحياء محياها الصبوح فيكسوه حمرة الخجل على ما تلفَّظت به توًا، تطأطئ رأسها ترمقه بنظرات الأسف.

على ما تفَّوهت به، فيهب صارخًا:

لا عليكِ يا امرأة، فلا لوم على عجوز أحمق مثلي، وما إن ينتهي من الكلمة حتي يموج في نوبة ضحك عالية تشاركه إياها وهي تلكزه في عضده، حتى جاءت الذكرى التي حجَّرت الدمع في مآقيه فأبى أن يتركها جحظت عينيه وهو يطيل النظر للأريكة يستحضر المشهد.

يراها ممدَّة على الأرض أسفل الأريكة بعد أن ندت منها صرخة عالية، فقدت وعيها وارتطم جسدها بالأرض، هذه المرة لم يكن بجوارها ليمنعها من السقوط، أسرع مهرولًا تجاهها، يرى الدماء وقد سالت من أنفها المهشم من أثر ارتطام، يحمل رأسها يدسه بين ذراعيه، يطبع دمها الجاري من أنفها على قميصه، كأنه يُقبِّله القبلة الأخيرة، يناشدها صارخًا:

-أفيقي لن أتركِ ترحلي، ليس الآن.

يأتي صوتها المبحوح، كأنه يصارع من تحت ركام الموت لينطق:

-بل هي يا رفيق العمر، لم أعد أطيق صبرًا عليها، ألم السرطان نهش عضمي واستشرى بجميع أجزاء جسدي، اتركني أرحل بسلام لتغمض عينيها وتثقل رأسها بين ذراعيه تتبعها صرخاته المضنية التي تحثها على الرجوع وألا تتركه

"لا تتركيني أرجوكِ ليس لي أحدٌ من بعدكِ، لا تتركيني أتوسل إليكِ".

أصابته رعشة قوية وهو يتذكر كلماته المدوية صداها بأذنيه كأنه يسمعها توًا، هزَّ منكبيه وهبَّ قائمًا، يستحلف قدميه أن تحمل جسده بعيدًا عن هذه الأريكة، وما هي إلا لحظات وقد

كان مُتأهبًا لحدثٍ ما، مرَّت ذكرياته سريعًا في خاطره المنهك، فلم تفلح في زعزعة عزيمته عن الأمر الذى قُضي في جوفه، فهبَّ ينشد للراحة سبيلًا كما زعم له فكره، أخرج من خزانة ملابسه بدلة عرسه منتشيًا لصوت الست في المذياع تجلجل

(اللي شوفته قبل ما تشوفك عنيا ،،،عمر راح يحسبوه إزاي عليا.....)

بشَّ وجهه، إذعانًا منه أنها إشارة تبارك له ما أقدم عليه.

تطيَّب بالعطر الذي لطالما عشقته زوجته، وتوسد فراشه في جو من الرضا، واستراحت جميع أوصال جسده ماعدا إحدى يديه قامت بقطع الوريد القابع في رقبته، جحظت عيناه وسقطت يده وساد الصمت على المكان إلا من صوت الست مُنشدًا:

(هات إيديك ترتاح للمستهم إيديا.....ياحبيبي تعالى وكفاية اللي فاتنا)

تمت بفضل الله

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

أمَّا بعد...

كل شيء في الوجود له سحره وجماله الخاص، كذلك الحال مع الكلمات ولكن جواهرجي الكلمات الحق هو من يستطيع انتقاء الجيد منها من بين الغث ويبرزها متراصة بجانب بعضها البعض مُقدِّما للقارئ صورة خلَّابة من بين سطور عمله الأدبي ترسي في نفسه حكمة ما أو فضيلة معينة أو قد تمتد لتوصيف حالة وجدانية يحياها كثير من البشر، ربَّما يكون القارئ واحدًا منهم، وقتئذٍ يكون الكاتب نجح في أن يكون لسان حال قرَّائه، يُضحكهم ويُبكيهم ويُواعدهم بغد مشرق يصيب أعتاب التمني داخل عقولهم من خلال ريشته الفريدة ألا وهي قلمه...

محبَّتي الأبدية

المُخلصة

مروة ممدوح